مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097
12فبراير2021

تسبيح الملائكة عليهم السلام

دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم

Praise the angels, peace be upon them

An objective study in the light of the Holy Quran

حمزة عبد الله سعاديي شواهنة

فلسطين/ الضفة الغربية/ قلقيلية.

الوظيفة: محاضر جامعي غير متفرغ -جامعة القدس المفتوحة، قلقيلية – فلسطين

كلية العلوم التربوية تفسير وعلوم قران
طالب دكتوراه علوم إسلامية (تفسير وعلوم قرآن) في المعهد العالي لأصول الدين بجامعة الزيتونة /تونس.
جوال: 0597646396
البريد الالكتروني **hamzahamza1985@outlook.sa**

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

ملخص البحث:

هذا البحث بعنوان (تسبيح الملائكة عليهم السلام دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم), وقد هدف البحث إلى تسليط الضوء على معالِم التسبيح عند الملائكة عليهم السلام من خلال آيات القرآن الكريم، ولتحقيق هذا الهدف سلك الباحث المنهجين الاستقرائي والاستنباطي, بحيث يعرض الآيات القرآنية التي تناولت موضوع تسبيح الملائكة عليهم السلام ﷻ ، ثم استنباط أبرز الفوائد من حرصهم عليهم السلام على أداء هذه العبادة العظيمة, وقد خلص البحث في نتائجه إلى اختصاص التسبيح بالله ﷻ وحده, وأنّ للملائكة عليهم السلام ألواناً مِن عبودية الله , ﷻعلى رأسها الثناء عليه وتسبيحُه، وأنه يجب على المسلم الاقتداء بالملائكة عليهم السلام في عبوديّتهم وتسبيحهم ﷻ ، وأوصت الدراسة بالعودة إلى ضرورة إظهار مكانة الذِّكر عموماً والتسبيح خصوصا.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التفسير، التسبيح، الملائكة.

Abstract:

This research entitled the praise of the angels peace, be upon them an objective study in the light of the Holy Quran, The research goal has been to highlight on the signs of praise to the angels, peace be upon them through the verses of the Koran, to achieve this goal, the researcher studied the inductive and deductive methods, so that the Quranic verses that dealt with the subject of the praise of the angels peace be upon them, and then draw the most important benefits of their keenness on them to perform this great worship, the results of the research reached the competence of praising God alone, and that the angels peace be upon them are colors of the bondage of God, on her head praise him and praise him, and that a Muslim must follow the angels peace be upon them in their bondage and praise them to God, the study recommended a return to the need to show the status of the male in general and praise in particular.

Key words: The Holy Qur'an, interpretation, Praise be to God, Angels.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الملائكة عليهم السلام عباد مكرَمون، خلقهم الله ﷻ لطاعته، وهم يقومون بالعبادة بيُسر وسهولة، ومِن أجَلّ الطاعات التي يقومون بها عبادة التسبيح، ولمّا كان الجَمّ الغفير من المسلمين يغفلون عن مكانة التسبيح، جاء هذا البحث بعنوان (تسبيح الملائكة عليهم السلام دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم)؛ ليكون حافزاً للعبد في الاقتداء بهم في شدّة ذكر الله ﷻ وتسبيحه.

أهمية البحث: تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات الآتية:

1-أهمية الموضوع نفسه الذي تبحث فيه الدراسة، وهو مقام الذِّكر عموماً عند الملائكة عليهم السلام والتسبيح خصوصا.

2-أن هذه الدراسة تناقش موضوعاً حيوياً من الموضوعات الغيبيّة، ودراستُها تنعكس إيجاباً على سلوك المسلم وبناء عقيدته.

3-أن هذا الدراسة تعالج موضوعاً عقدياً؛ وذلك لأن مسألة تنزيه اللهﷻ الذي هو معنى التسبيح يُعدُّ من مسائل الاعتقاد, كما أنّ الإيمان بالملائكة عليهم السلام أحد أركان الإيمان الستة.

4-إحياء معاني التسبيح التي ضعُفت في نفوس المسلمين في الزمن المعاصر؛ وذلك بذكر نموذج قد بلَغ المرتبة السامية في التسبيح.

5-أن هذا الدراسة تعالج عبادة عظيمة يتكرر وقوعها من المسلم كلّ حين.

مشكلة البحث: هذا وتتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما هي معالم التسبيح عند الملائكة عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم؟

وتتفرع عن هذه المشكلة ثلاثة أسئلة أساسية:

1-ما المقصود بتسبيح الملائكة عليهم السلام؟

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

2-ما هي النصوص القرآنية التي عَرضت تسبيح الملائكة عليهم السلام؟

3-ما هي الفوائد المستنبطة من تسبيح الملائكة عليهم السلام؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

1-التعرف على عبادة التسبيح عند الملائكة عليهم السلام.

2-بيان معنى تسبيح الملائكة عليهم السلام.

3-استجلاء الفوائد المتضمنة من عبادة التسبيح عند الملائكة عليهم السلام، من خلال دراسة متأنِّية للنصوص القرآنية التي وردت في هذا الموضوع.

4-دعوة الغافلين إلى الذكر والتسبيح؛ وذلك بذكر أفضل النماذج التي حقّقت عبادة ذِكر الله ﷻ وتسبيحه.

الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها:

بعد التتبع لموضوع تسبيح الملائكة عليهم السلام في القرآن الكريم، لمْ يقف الباحث على أيّ دراسة قرآنية موضوعية أفردت هذا الموضوع بالدراسة، بل وجدته متناثراً في بطون الكتب والتفاسير، إضافة إلى كونه لا يعتمد بالدرجة الأولى على القرآن الكريم، ومن الدراسات السابقة التي لها نوع علاقة بموضوع البحث، رسالة علمية موسومة ب (التسبيح في الكتاب والسنة، والرد على المفاهيم الخاطئة فيه)، للدكتور كندو([1]).

حيث تعرّضت الدراسة السابقة لمعاني التسبيح في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبيان أنواعه، وذكر نظائره، وتوضيح حُكمه، واستقراء سياقاته، والحديث عن المسبِّحين لله ﷻ ومنهم الملائكة عليهم السلام, إلا أنها تناولت موضوع التسبيح بعمومه في القرآن الكريم والسنة المطهرة, إضافة إلى الحديث عن الآيات التي تُذكر فيها ألفاظ التسبيح بتوسُّع, دون الحديث المستفيض عن تسبيح الملائكة عليهم السلام كما فعل الباحث هنا.

لذا يتبين ندرة الدراسات القرآنية المحكّمة التي درست هذا الموضوع، وحاولت بيان مقام الملائكة عليهم السلام في التسبيح في ضوء آيات الكتاب العزيز فحسب.

[1] د. كندو, محمد بن إسحاق: التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه, (دار المنهاج, الرياض, 1426, ط1).

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

ما يضيفه البحث: ما ندّعيه لهذا الدراسة من فروقات عن غيرها وما تضِيفه علمياً هو:

1-أنّ هذه الدراسة هي دراسة قرآنية موضوعية، اتّبع الباحث فيها منهج البحث العلمي وفق طريقة التفسير الموضوعي.

2-إبراز هذه الدراسة معالِم تسبيح الملائكة عليهم السلام خصوصاً كما عرضته آيات القرآن الكريم فحسب.

حدود البحث: سيعتمد هذا البحث على آيات القرآن الكريم فحسب، إذ هو المصدر الأول للتربية الإسلامية، ولكنّ الباحث سيعرّج على التفاسير الأصيلة، لذا ستقتصر الدراسة في حدّها الموضوعي على دراسة الآيات التي تضمنت بنصّها مادّة (سَبَحَ) ضمن الحديث عن مقام التسبيح في عالَم الملائكة عليهم السلام .

منهج البحث: طبيعة البحث وأهدافه تتطلب استخدام المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، بحيث يستقرئ الباحث الآيات الكريمة التي تضمنت تسبيح الملائكة عليهم السلام، ثُم يستنتج الفوائد والمعاني التربوية المستنبَطة من تلك الآيات.

خطة البحث: تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، كما يأتي:

المقدمة: وتضمنت أهمية الموضوع، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث.

المطلب الأول: مفهوم تسبيح الملائكة عليهم السلام ونظائره في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: نماذج من تسبيح الملائكة عليهم السلام لله ﷻ في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الفوائد المستنبطة مِن تسبيح الملائكة عليهم السلام في القرآن الكريم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المطلب الأول:

مفهوم تسبيح الملائكة عليهم السلام ونظائره في القرآن الكريم

سيبيّن الباحث في هذا المطلب المقصود بتسبيح الملائكة عليهم السلام، من خلال تأصيل المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذا المصطلح، ثم سيعرِّج على ذكر نظائره في التنزيل العزيز، وذلك على النحو الآتي:

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

الفرع الأول: مفهوم التسبيح

أولاً: معنى التسبيح:

التسبيح لغة: مصدر سبّح، وعرّفه الأزهري بأنه: تنزيه الله ﷻ من السوء، وتبعيدُه منه، من قولك: سبحتُ في الأرض إذا أبعدتَ فيها، ومنه قوله ﷻ: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: 40]. ([2])

أمّا التسبيح في اصطلاح المفسرين، فقد عُرِّف بتعاريف عديدة؛ وأجمع تعريف له -كما يرى الباحث-ما ذكره أبو السعود أنّه: "تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجنابه.([3])"

ومن خلال النظر في التعريف السابق، يتضح أنّ التسبيح ليس مُجرد قول (سبحان الله) فحسب؛ بل يشمل تنزيه الله ﷻ باللّسان والقلب والجوارح على حدّ سواء.

وهكذا يتضح بأنّ التسبيح في أصله اللغوي دائماً يدلّ على معانٍ لا تُصرف إلا لله وحده؛ لأن المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله، لذا فإنّ كلمة (سبحان الله) تتضمن أصلاً عظيماً من أصول التوحيد، وهو إبعاد القلوب والأفكار عن أن تظن بالله ﷻ نقصا.

وقد ورد التسبيح بمعنى تنزيه الله ﷻ عن كلّ سوء سواء في القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة أو آثار السلف الصالح، كقوله:} مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُون {[المؤمنون.[91 :

ولمّا دَل التسبيح على تنزيه الله ﷻ عن النقائص استلزم اتصافَه بالكمال المطلَق، فكان التسبيح دالاً على التعظيم لله، ويقرّر هذا المعنى شيخُ الإسلام فيقول:" والأمر بتسبيحه يقتضي أيضاً تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له، فإنّ التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يُحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه، وتحميده، وتكبيره، وتوحيده ([4])."

---

[2] انظر, الأزهري, أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 370): تهذيب اللغة, تحقيق: محمد عوض مرعب, (بيروت, دار إحياء التراث العربي, ط1 - 2001م), (سَبَحَ), (4/ 195).

[3] أبو السعود, محمد بن محمد العمادي (ت: 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم, (بيروت, دار إحياء التراث العربي), (8/ 203).

[4] ابن تيمية, أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): مجموع الفتاوى, تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم, (المملكة العربية السعودية, المدينة النبوية, مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- 1416هـ/1995م),.(16/125)

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

ثانياً: معنى الملائكة:

الملائكة لغة: جمع ملَك (بفتح اللام)، و"الأَلوك: الرسالة وهي المَأْلُكة، على مَفْعُلة، سُمِّيَتْ أَلوكاً؛ لأَنه يُؤْلَكُ في الفم مشتقّ من قول العرب: الفرس يَأْلُك اللُّجُمَ، والمعروف يَلوك أَو يَعْلُك أَي: يَمْضُغُ. ... والأَلُوك والمَأْلَكة والمَأْلُكة: الرسالة؛ لأنها تُؤلَك في الفم".[5]

إذن الملائكة في أصلها اللغوي تعني: المرسَلون، وقد سمّاهم الله بذلك كما في قوله: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات: 1]، ويقرّر الطبري هذا المعنى بقوله: "فسمِّيت الملائكةُ ملائكةً بالرسالة؛ لأنها رسُل الله بينه وبين أنبيائه ومَن أُرسلت إليه مِن عباده. ([6]

والمَلَك في الاصطلاح: ("جسم لطيف نوراني يتشكّل بأشكال مختلفة").[7]

ثالثاً: المقصود بتسبيح الملائكة عليهم السلام لله:

والمقصود بتسبيح الرسل عليهم السلام لله في هذا البحث، هو: دراسة الآيات القرآنية التي وردت في سياق تنزيه الملائكة عليهم السلام لله عن النقائص بأحد ألفاظ التسبيح.

واختلف أهل التأويل في معنى تسبيح الملائكة عليهم السلام على عدة أقوال، ومنها:(([8]

أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن مسعود وابن عباس.
والثاني: أنه قول: (سبحان الله) ونحوها، على عُرفه في اللغة، قاله قتادة.
والثالث: أنه التعظيم والحمد، قاله أبو صالح.
والرابع: أنه الخضوع والذلّ، قاله محمد بن القاسم الأنباري.
والخامس: رفْع الصوت بالذكر.

---

[5] ابن منظور, محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: 711): لسان العرب, (بيروت، دار صادر, ط1), (ألك), (10/ 392).
[6] الطبري, أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن, تحقيق: محمود محمد شاكر, وتخريج: أحمد محمد شاكر, (مؤسسة الرسالة، ط1 – 1420هـ - 2000م), (1/ 447).
[7] الجرجاني, علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ): التعريفات, (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1403هـ - 1983م) ,(ص: 229).
[8] ابن الجوزي, أبو الفرج عبد الرحمن (ت:597): زاد المسير في علم التفسير, تحقيق: عبد الرزاق المهدي, (بيروت, دار الكتاب العربي, ط1 – 1422هـ), (1/ 51), والقرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, (القاهرة, دار الكتب المصرية، ط2 – 1384هـ - 1964م), (1/ 276).

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

والقول الذي تؤيده أدلة الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح هو تسبيحهم لله ﷻ بألسنتهم، ويعضّد هذا المعنى ما جاء عن رسول الله ﷺلمّا سئل: "أيّ الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده". ([9])

الفرع الثاني: نظائر التسبيح في القرآن الكريم:

من خلال تتبّع الباحث للألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم, وحَملت في طيّاتها معنى التسبيح, تبيّن أنها أكثر من لفظ, وهي: أولاً:

اولاً-السلام: ومن أسماء الله الحسنى التي تدلّ على معنى التسبيح والتنزيه اسم (السلام), كما في قوله ﷻ: }هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ{[الحشر: 23], قال ابن القيم معلّقاً: الله أحَقُّ بهذا الاسم مِن كلّ مسمًّى به؛ لسلامته ﷻ مِن كلّ عيب ونقص مِن كلّ وجه.([10])

ثانياً: التقديس: ورد اسم الله (القدّوس) بمعنى تسبيح الله ﷻ وتنزيهه، كما في قوله ﷻ: }يسبّح لله ما في السماوات وما في الأرض الملِك القدّوس العزيز الحكيم {[الجمعة: 1]، و{القدّوس} "أي: المنزَّه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال". ([11])

ثالثاً: تعالى: ورد الفعل تعالى مسنَداً إلى الله ﷻ بمعنى التسبيح في قوله ﷻ: {فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون {[الأعراف: 190]، قال أبو جعفر: "وأمّا قوله: (فتعالى الله عما يشركون)، فتنزيه مِن الله تبارك وتعالى نفسه، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون، ويدعون معه من الآلهة والأوثان"([12]).

---

[9] مسلم, مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, (بيروت, دار إحياء التراث العربي), كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب فضل سبحان الله وبحمده, حديث رقم (2731), (4/ 2093).

[10] انظر, ابن القيم, محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): الفوائد, (بيروت, دار الكتب العلمية, ط2 1393 هـ - 1973م), (2/ 135).

[11] ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ): تفسير القرآن العظيم, تحقيق: سامي بن محمد سلامة, (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 – 1420هـ - 1999م), (8/ 115).

[12] الطبري, أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن, تحقيق: محمود محمد شاكر, وتخريج: أحمد محمد شاكر, (مؤسسة الرسالة، ط1 – 1420هـ - 2000م), (13/ 317).

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

رابعاً: حاش لله: ورد لفظ حاش لله بمعنى التسبيح في قوله ﷻ: {قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ {[يوسف: 51] , قال ابن عاشور في معنى حاش لله: "وحاش لله: مبالغة في النفي والتنزيه.([13])"

خامساً: الحمد: وردت لفظة الحمد بمعنى التسبيح في القرآن الكريم عند عدم الاقتران بينهما، كما في قوله :ﷻ {فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. ومن الليل فسبحه وأدبار السجود }[ق.[40-39 :

وقُرن التسبيح بالحمد كثيراً في القرآن الكريم؛ لأن "التسبيح يتضمَّن نفي النقائص والعيوب، والتحميد يتضمَّن إثبات صفات الكمال التي يُحمَد عليها[14])) ."

سادساً: التأويب: وردت لفظة التأويب بمعنى التسبيح كما في قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ]} سبأ10 :]، يقول الطبري: "(أوّبي معه): سبِّحي معه إذا سبَّح". ([15]

المطلب الثاني:

نماذج من تسبيح الملائكة عليهم السلام لله ﷻ في ضوء القرآن الكريم

الملائكة عليهم السلام عباد مكرَمون، مكلَّفون بعبادة الله ﷻ، وهم يؤدُّون العبادة بيُسر، ومِن أعظم عباداتهم لله ﷻذِكره، وعلى رأسه التسبيح، ومن خلال استقراء النصوص القرآنية التي تضمنت الحديث عن تسبيح الملائكة عليهم السلام، تبيّن أنّ تسبيحهم لله ﷻقد تكرّر في صور متنوعة فيما يقرب من عشرة آيات من الذكر الحكيم.

لذا سيستعرض الباحث في هذا المطلب تسبيح الملائكة عليهم السلام لله ﷻ كما عرضته آيات القرآن الكريم، ذاكراً الآيات الكريمة التي تضمنّت تسبيحهم عليهم السلام، سواء ورد ذلك بذكره ﷻ لصيغ تسبيح الملائكة عليهم السلام له ﷻ، أو بإخباره ﷻ عن تسبيحهم، مصنِّفاً تلك الآيات وفق تصنيف يناسبها، ثُمّ معقّباً عليها بتعقيب مناسب، وذلك على النحو الآتي:

---

[13] ابن عاشور, محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير, (تونس, الدار التونسية للنشر, 1984هـ), (12/ 290).

[14] ابن تيمية, أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): جامع المسائل, تحقيق: محمد عزير شمس, إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد,) مكة ,دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع -1422هـ/ط1), (ص: 278).

[15] الطبري: جامع البيان.(50 /14) ,

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

أولاً: إخبار الله ﷻعن حال الملائكة عليهم السلام في التسبيح:

حكى القرآن الكريم عن حال الملائكة عليهم السلام في التسبيح، وذلك في عدّة مواطن، وهي:

1-قوله :ﷻ {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [سورة الرعد: 13].

2-قوله: (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الشورى: 5].

3-قوله :ﷻ}الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ {[غافر: 7].

والمتأمّل في إخبار الله ﷻعن حال الملائكة عليهم السلام في التسبيح، يلحظ أنّ تسبيحهم قد جاء مقترناً بتحميده ﷻ في ثلاثة مواضع في آيات القرآن الكريم، كما جاء مقترناً بتسبيح الرعد على سبيل الهَيبة في موضع واحد.

ثانياً: إخبار الله ﷻعن استمرارية تسبيح الملائكة عليهم السلام لله ﷻ:

يخبر اللهﷻ في كتابه العزيز عن تسبيح الملائكة عليهم السلام لله ﷻ من غير سآمة ولا انقطاع، وذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم، وهي:

1-قوله :ﷻ {فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ{[فصّلت: 38].

2-قوله :ﷻ {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}[الأنبياء: 20].

3-قوله :ﷻ {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206)}[الأعراف: 205-206].

4-قوله ﷻ في يوم القيامة حين يقضي الله ﷻ بين عباده يلهج الملائكة عليهم السلام مسبِّحين لله :ﷻ{والذين يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7)}[غافر: 7].

5- قوله { :ﷻوترى الملائكة حافِّين مِن حول العرش يسبِّحون بحمد ربهم}[الزمر: 75].

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

والمتأمل في الآيات السابقة، يلحظ اقتران تسبيح الملائكة عليهم السلام بالسجود، كما يلحظ أنّ الملائكة عليهم السلام عموماً وحملة العرش والكرسي في حال الطواف بالعرش والكرسي خصوصاً مستغرِقون في التسبيح، وأنّ تسبيحهم لله ﷻ دائم لا ينقطع في الليل والنهار, وقد ذَكر الطبري بأنّ تسبيحهم عليهم السلام كالنَفَس لنا لا يشغلُهم عن مهماتهم كما لا يشغلُنا التنفُّس عنها([16]),(وقال الشنقيطي معلِّقاً على قوله { :ﷻفَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ} وهُم: الملائكة {يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} أي: يعبُدونه وينزّهونه دائماً ليلاً ونهارا {وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ{ أي: لا يملّون من عبادة ربهم; لاستلذاذهم لها وحلاوتها عندهم، مع خوفهم منه ﷻ كما قال :ﷻ{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ}[سورة الرعد: 13], وقد ذكَر ﷻ هذا المعنى في قوله: {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89)}[الأنعام: 89] ([17]),كما تجلّى أيضاً أنّ التسبيح من أجَلّ عبادات الملائكة عليهم السلام، فهم دائماً يذكُرون الله ﷻ ودائبون على تسبيحه.

ثالثاً: تنويه الملائكة عليهم السلام بتسبيحهم لله :ﷻ

يوضح القرآن الكريم تمدُّح الملائكة عليهم السلام بتسبيح الله ﷻ في أكثر من موضع, وهي:

1- قوله :ﷻ{وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}[الصافات: 165-166].

2- قوله :ﷻ{ونحن نسبِّح بحمدك ونقدِّس لك}[البقرة: 30].

3-قوله } :ﷻوالصافّات صفّا]}الصافات.[1 :

والمتأمل في الآيات السابقة، يجد أنّها تدلّ على أنّ الملائكة عليهم السلام يفتخرون بمكانتهم من التسبيح، ولكثرة تسبيحهم لله ﷻفهُم المسبِّحون في الحقيقة، وإنّ كثرة تسبيحهم لله ﷻ تشعِر بأنّ التسبيح من أفضل الطاعات, ويعضِّد هذا المعنى ما جاء عن رسول الله ﷺ لمّا سُئل: "أيّ الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحانَ الله وبحمده".([18])

رابعاً: افتتاح الملائكة عليهم السلام كلامهم مع الله ﷻ بالتسبيح:

---

[16] انظر, الطبري: جامع البيان,(424 /18) ,

[17] انظر, الشنقيطي, محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن, (لبنان, بيروت, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م), (7/ 30).

[18] مسلم: صحيح مسلم, كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب فضل سبحان الله وبحمده, حديث رقم (2731), (4/ 2093).

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

حكى القرآن الكريم افتتاح الملائكة عليهم السلام جوابهم مع الله ﷻ بالتسبيح في أكثر من موضع، وهي:

1- قوله :ﷻ{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (18)}[الفرقان.[18-17 :

2- قوله :ﷻ{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41)]}سبأ.[41-40 :

3- قوله :ﷻ{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)}[البقرة.[32-31 :

وفي افتتاح الملائكة عليهم السلام كلامهم مع الله ﷻ بالتسبيح؛ إيماء إلى أنّ لكلام الله ووحيه وقع عظيم عليهم, لذا يخرون لسماعه سجدا، ويبادؤونه بالتنزيه، وأكّدت السنّة الصحيحة هذا المعنى، حيث ورد عن ابن عبّاس -رضي الله عنهما-، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رُمي بمثل هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول وُلد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمراً سَبّح حملة العرش، ثم سَبّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا» ثم قال: "الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويُرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنّهم يقرفون فيه ويزيدون".([19])

وظهر مما سبق في هذا المطلب, أنّ في إخبار الله ﷻ في كتابه الكريم عن حال الملائكة عليهم السلام في كثرة تسبيح الله؛ ترغيباً للمؤمنين من باب أَولى إلى الاقتداء بهم في الإكثار من تسبيح الله ﷻفي ليلهم ونهارهم؛ لأنه إذا كان هذا هو شأن المعصومين من الذنب, فكيف يكون حال العِباد الخطّائين؟

[19] مسلم: صحيح مسلم, كتاب السلام, باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان, حديث رقم (2229), (4/ 1750).

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

وفي ختام هذا المطلب أحسب أنّ القارئ طوَّف في جنبات التسبيح عند الملائكة عليهم السلام، وتعرّف على دأبهم في ذِكر الله ﷻ والتسبيح بحمْده والثناء عليه بما هو أهله، ووقف على مشاهدَ مِن تسبيحهم لله ﷻ، واتضحت له إجابة السؤال الثاني حول استقراء نماذج من تسبيح الملائكة عليهم السلام لله ﷻ في ضوء الآيات الكريمة.

فإذا كان ذلك كذلك؛ فإني أزعم أنّ القارئ قد تشوّقت نفسه؛ لمعرفة الفوائد المستنبطة من تسبيح الملائكة عليهم السلام، وهذا هو موضوع المطلب التالي .

المطلب الثالث:

الفوائد المستنبطة مِن تسبيح الملائكة عليهم السلام في القرآن الكريم

بعد الانتهاء من بيان النصوص القرآنية التي تضمنت تسبيح الملائكة عليهم السلام لربّها ﷻ؛ فإنه يحسن بالباحث أن يعرّج على أهمّ الفوائد المستنبطة من تلك النصوص، ومن أهمّها ما يأتي:

1-اختصاص التسبيح بالله ﷻ وحده: فإنّ المتأمِّل في آيات القرآن الكريم يَلحظ أنّ التسبيح سواء جاء باللفظ أو بالاعتقاد حقٌّ خالص من حقوق اللهﷻ ، لذا لا يجوز أن يُنعَت بها أحدٌ سواه أيّاً كان؛ وذلك لأن لله ﷻ وحده صفات الكمال المطلَق، كما أنّ لغيره أيّاً كان صفات النقص، من هنا لا يُذكَر لفظ التسبيح في آيات القرآن الكريم إلا مضافاً إلى لفظ الجلالة أو اسم من أسماء الله الحسنى، أو إلى صفة من صفاته أو إلى ضمير عائد إليه ﷻ, ومِن شواهد ذلك قوله ﷻ على لسان الملائكة عليهم السلام: {سبحانك أنتَ وليّنا مِن دونهم]}سبأ .[41 :

2-اقتران تسبيح الملائكة عليهم السلام بألفاظ الذِّكر وأسماءِ الله :ﷻ فإنّ المتتبِّع لألفاظ تسبيح الملائكة عليهم السلام في القرآن الكريم، يجد أنّ الله ﷻ قرَن في كتابه العزيز كثيراً بين تسبيحهم وألفاظ الذِّكر الأخرى، حيث قرَن التسبيح بالحمد وهو الأغلب، كما في قوله } :ﷻوَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}[الشورى: 5]، وقرَن بين التسبيح والاستغفار، كما في قوله } :ﷻوَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ}[الشورى: 5], وقرَن بين التسبيح والسجود, كما في قوله :ﷻ {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206)}[الأعراف: 205-206] ,وقرَن بين التسبيح والإيمان, كما في قوله } :ﷻوَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ}[الشورى: 5].

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

وجاء تسبيح الملائكة عليهم السلام في القرآن الكريم مقترِناً بتسبيح الرعد على سبيل الهيبة في موضع واحد وهو قوله :ﷻ {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ}[الرعد: 13]، وجاء مقترناً بأسماء الله ﷻ, كما في قوله } :ﷻأَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[الشورى: 5], وقوله :ﷻ{إنكَ أنتَ العليمُ الحكيم}البقرة.[32-31 :

وهذا لا يعني أنّ التّسبيح يَرِد دائماً مقترناً ببعض ألفاظ الذِّكر الأخرى، فقد يَرِد مُفرَداً أحيانا، ومنه التسبيح الذي جاء في قوله : ﷻ{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}[الأنبياء: 20].

3-عبودية الملائكة: الملائكة عليهم السلام خلْق مجبولون على عبادة اللهﷻ ؛ لعصمتهم عن المعاصي، ومن خلال استقراء نصوص القرآن الكريم التي ذَكرت عبادات الملائكة عليهم السلام يتضح قيامهم بعبادات متنوّعة، مِن أهمّها:

أ-التسبيح بحمد الله ﷻ: الملائكة عليهم السلام يذكُرون الله ﷻ ولا يفترون عن تسبيحه، كما قال ﷻ: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}[الأنبياء: 20]، وقد جاء في حقّ الملائكة عليهم السلام كثيراً في القرآن الكريم اقتران تسبيحهم بالتحميد، منها قوله :ﷻ{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}[غافر: 7].

ويتجلّى مقام التسبيح من خلال تسبيح الملائكة عليهم السلام فيما يأتي:

*أنّ الملائكة عليهم السلام يفتخرون بمكانتهم من التسبيح، كما قال :ﷻ{وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}[الصافات: 165-166].

*أنّ تسبيح الملائكة عليهم السلام لله ﷻدائم لا ينقطع، فهُم مقيمون على تسبيح الله ﷻ في كل لحظة، وليس تسبيحهم لله ﷻ مقتصراً في الدنيا، بل يسبّحونه يوم القيامة أيضا, كما أشار :ﷻ{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الزمر: 75].

*افتتاح الملائكة عليهم السلام كلامهم مع الله ﷻ ،بالتسبيح دون غيره من ألوان الثناء، فقد حكى القرآن الكريم في أكثر من موضع أنه إذا صدَر الأمر من الله ﷻ فَزِع الملائكة عليهم السلام، وأكثَروا التسبيح والثناء على الله ﷻ,كما قال :ﷻ{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (18)}[الفرقان: 17-18], ووضّحت السنّة هذا الأمر كما في الحديث: «... رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ،

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا...»([20] .).

*عدم فتور الملائكة عليهم السلام من كثرة التسبيح، كما قال :ﷻ {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}[الأنبياء: 20].

*أنّ جميع الملائكة عليهم السلام يقومون بالتسبيح؛ إجلالاً لله ﷻ, فلا تقتصر هذه العبادة على حمَلة عرشه، فكما يُسبِّحه حملةُ عرشه والحافّون به كما دَلّ عليه قوله :ﷻ {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}[غافر: 7]، فإنّ عموم ملائكته عليهم السلام كذلك تسبِّح بحمده، {وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}[الشورى: 5].

ب-الاصطفاف: ذكر القرآن الكريم عن الملائكة عليهم السلام قولَهم: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}[الصافات: 165], ويحثّ الرسول ﷺأصحابه رضي الله عنهم على الاقتداء بالملائكة عليهم السلام في اصطفافهم للصلاة: «ألا تصفُّون كما تصفّ الملائكة عند ربها»؟ وعندما سُئِل عن كيفية اصطفافهم قال: «يُتِمُّون الصفوف، ويتراصّون في الصف»([21].).

والملائكة عليهم السلام منظّمون في كلّ شؤونهم، فكما يصطفّون في عبادتهم، فإنهم يأتون يوم القيامة صفوفاً منتظمة, كما أشار إليه قوله :ﷻ{وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[الفجر: 22]، ويقِفون صفوفاً بين يدي الله ,ﷻ كما دَلّ عليه قوله :ﷻ{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا}[النبأ: 38].

ج-الاستغفار للمؤمنين: الملائكة عليهم السلام يستغفرون للمؤمنين فقط، كما دلّ عليه قوله:} وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ} [الشورى: 5]، وفي هذه الآية دليل على عظيم رحمة الله ﷻ بعباده.

د- الخوف والخشية: الملائكة عليهم السلام يخشون الله ﷻ على الرغم من عصمتهم عن المعاصي, وأنّ الله ﷻ قد أمّنهم من عذابه، وما هذه الخشية إلا لِعلمهم بعظمته وقوّة معرفتهم به، وبيّن القرآن الكريم هذه الخشية في قوله :ﷻ {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ}[الرعد: 13]، ووضّحت السنّة شدّة خوف الملائكة عليهم

[20] مسلم: صحيح مسلم, كتاب السلام, باب تحريم الكهانة وإتيان الكُهّان, حديث رقم (2229), (4/ 1750).
[21] مسلم: صحيح مسلم, كتاب الصلاة, باب الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد، ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأول والتراصّ فيها والأمر بالاجتماع, حديث رقم (430), .(1/ 322)

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

السلام من ربّهم، قال النبي ﷺ:"إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان قال - علي: وقال غيره: صفوان يَنفُذُهم ذلك - فإذا : {فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحقّ وهو العليُّ الكبير}[سبأ: 23].([22])"

ويعلّل ابن القيّم شدّة خوف الملائكة عليهم السلام من اللهﷻ ، فيقول: "فإنْ قيل: فما وجه خوف الملائكة وهم معصومون من الذنوب التي هي أسباب المخافة وشدّة خوف النبيّ مع عِلمه بأنّ الله قد غَفر له ما تَقدّم مِن ذنبه وما تأخّر وأنه أقرب الخلق إلى الله؟ قيل عن هذا أربعة أجوبه:

الجواب الأوّل: أنّ هذا الخوف على حسب القرب من الله والمنزلة عنده، وكلما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه. والجواب الثاني: أنه لو فرض أنّ العبد يأتي بمقدوره كله من الطاعة ظاهراً وباطناً، فالذي ينبغي لربه فوق ذلك وأضعاف أضعافه.

والجواب الثالث: أنّ العبد إذا علم أنّ الله سبحانه وتعالى هو مقلِّب القلوب وأنه يحول بين المرء وقلبه، فما يؤمنه أن يقلب الله قلبه ويحول بينه وبينه ويزيغه بعد إقامته؟

والجواب الرابع: أنّ الله ﷻ هو الذي خلق أفعال العبد الظاهرة والباطنة، فهو الذي يجعل الإيمان والهدى في القلب([23]) .

هـ-العِلم: علّم الله ﷻ الملائكة عليهم السلام عِلماً وفيراً، إلا أنهم ليس لديهم القدرة على تمييز الأشياء كقدرة الإنسان، وبيّن القرآن الكريم هذه الخشية كما في قوله :ﷻ {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 31-32].

4-واجب المسلم نحو الملائكة عليهم السلام: يجب على المسلم تجاه الملائكة عليهم السلام عدة أمور:

أولاً: وجوب الإيمان بهم، والإيمان بهم رُكن من أركان الإيمان الستة، لا يصحّ الإيمان إلا به.

---

[22] البخاري, أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه, تحقيق: د. مصطفى ديب البغا, (بيروت, اليمامة, دار ابن كثير, ط3 – 1407هـ - 1987م), كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى: {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}[سبأ: 23]، "ولم يقل: ماذا خلق ربكم", حديث رقم (7481), (9/ 141).

[23] انظر, ابن القيم, محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): طريق الهجرتين وباب السعادتين, (مصر, القاهرة, دار السلفية, 1394هـ), ط2, (ص: 285- 289).

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

وثانياً: وجوب محبّتهم؛ لمكانتهم عند اللهﷻ وصلاحهم، ومحبةُ الصالحين من الدين، فقد قال اللهﷻ في اليهود:{ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ{[البقرة.[98 :

وثالثاً: الاقتداء بالملائكة عليهم السلام في عبوديتهم للهﷻ ، فإنّ كثرة ثناء الملائكة عليهم السلام على اللهﷻ تستوجب من البشر الثناء عليه ﷻ بما هو أهله في كلّ حال وحين؛ وذلك لأن الملائكة عليهم السلام يعلَمون من عظمة اللهﷻ ما لا نعلَم.

ورابعاً: الاعتراف بالتقصير في حق اللهﷻ ، فعلى الرغم من تعظيم الملائكة عليهم السلام لله، وكثرة ذِكرهم له، فإنهم مقِرُّون بتقصيرهم في القيام بعبادته، وما ذاك إلا لمعرفتهم بجلال قدْره، وبيّنت السنّة المطهّرة هذا المعنى، كما في الحديث: "يُوضع الميزان يوم القيامة، فلو وُزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حدّ الموسى فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقول: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك". ([24])

وفي ختام هذا المطلب أحسب أنّ القارئ طوَّف في جنبات الفوائد التي تضمّنتها النصوص القرآنية التي عرضت تسبيح الملائكة عليهم السلام، واتضحت له إجابة السؤال الثاني: ما أهمّ الفوائد المستنبطة مِن تسبيح الملائكة عليهم السلام من خلال الآيات الكريمة؟ وبهذا تكون جميع أسئلة الدراسة قد تكاملت إجاباتها، ولمْ يتبقّ إلا إيضاح ما خرجت به الدراسة من نتائج وتوصيات تضمّنتها خاتمة الدراسة، وهو ما سيجده القارئ الكريم في الإيراد التالي.

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فإنه بعد الجولة العطرة بين ثنايا موضوع (تسبيح الرسول محمد ﷺدراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم), من خلال استقراءٍ لعدد غفيرٍ من الآيات القرآنية, يمكِن الخلوص إلى النتائج الآتية:

[24] الحاكم, أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: 405هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1– 1411هـ - 1990م), كتاب العلم, حديث رقم (8739), (4/ 629), وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

* أجمع تعريف للتسبيح في الشرع، أنه: تنزيه الله ﷻ اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجنابه.

* نظائر التسبيح في القرآن الكريم هي: الحمد، والسلام، والتقديس، والتأويب، وتعالى، وحاش لله.

* اختلف أهل التأويل في معنى تسبيح الملائكة على عدّة أقوال، أوّلها: أنه الصلاة، والثاني: رفْع الصوت بالذِّكر، والثالث: التعظيم والحمد، والرابع: الخضوع، والخامس: قول: (سبحان الله) ونحوها، على عُرْفه في اللغة، والقول الذي تؤيّده أدلة الكتاب والسنّة وآثار السلف هو تسبيحهم لله ﷻ بألسنتهم.

* الملائكة عليهم السلام خلْق مجبولون على عبادة الله، ومن خلال استقراء نصوص القرآن الكريم التي ذكرت عبادات الملائكة عليهم السلام يتضح قيامهم بعبادات متنوعة من أهمّها: التسبيح بحمد الله، والاصطفاف، والاستغفار للمؤمنين، والخوف والخشية من الله ,ﷻ والعِلم.

* للتسبيح منزلة جليلة، ومما يدلّ على فضله من خلال تسبيح الملائكة عليهم السلام أمور عدّة، منها: أنّ الملائكة عليهم السلام يفتخرون بمكانتهم من التسبيح، وأنّ تسبيحهم عليهم السلام لله دائم لا ينقطع، وعدم فتورهم مع كثرة تسبيحهم، وافتتاح كلامهم مع الله بالتسبيح دون غيره من الكلام، وأنّ الملائكة عليهم السلام جميعاً يقومون بالتسبيح، فلا تقتصر هذه العبادة على حملة عرشه، بل يسبّحه كلُّ ملَك من الملائكة عليهم السلام.

* اختصاص التسبيح بالله ﷻ وحده؛ فإنّ المتأمِّل في آيات القرآن الكريم يَلحظ أنّ التسبيح –سواء جاء باللفظ أو بالاعتقاد– حقٌّ خالص من حقوق اللهﷻ , لذا لا يجوز أن يُنعَت بها أحدٌ سواه أيّاً كان؛ وذلك لأن لله ﷻ وحده صفات الكمال المطلَق.

*من واجب المسلم نحو الملائكة عليهم السلام وجوب الإيمان بهم, ووجوب محبتهم, والاقتداء بالملائكة عليهم السلام في عبوديتهم لله ,ﷻوكثرةِ تسبيحهم له, واعترافِهم بالتقصير في حق الله. ﷻ

وفي ضوء هذه النتائج، فإنّ الباحث يوصي بما يأتي:

1–ضرورة إظهار مكانة الذِّكر عموماً والتسبيح خصوصا.

2–توجيه البحوث العلمية إلى البحث في العبادات العقديّة في القرآن الكريم، ودراسة أثرها في تنمية الشخصية.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 193-212 ISSN:2709-2097

وبعد؛ فهذا ما يسّر الله ﷻ للباحث الوصول إليه في هذا البحث المتواضع، وأسأله ﷻ أن يجعلنا ممن يسبِّحه كثيراً ويَذكُره كثيرا، وصلوات الله وسلامُه على أشرف خلْقه وتاج رسُله محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم.
2-الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 370): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 -2001م).
3-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3- 1407هـ -1987م).
4-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، النبوّات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (المملكة العربية السعودية: الرياض، أضواء السلف، ط1، -1420هـ/2000م).
5-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): جامع المسائل، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد،) مكة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع 1422-هـ/ط1).
6-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية: المدينة النبوية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-1416هـ/1995م).
7-الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3 - 1420هـ).
8-الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: 405هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1- 1411هـ -1990م).
9-الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ): التعريفات، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1403هـ -1983م)، (ص: 229).
10ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت:597): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 - 1422هـ).
11-الزّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت، عالم الكتب، ط1 - 1408هـ -1988م).
12-أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).

13-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1416هـ -1996م).

14-الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ -1995م).

15-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخريج: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1 - 1420هـ -2000م).

16-ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية للنشر, 1984هـ).

17-عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1388هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المعجم الشريف، (القاهرة، دار الحديث).

18-ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 -1422هـ).

19-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2 - 1384هـ -1964م).

20-ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): طريق الهجرتين وباب السعادتين، (مصر، القاهرة، دار السلفية, 1394هـ)، ط2.

21-ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3, 1416هـ -1996م).

22-ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): الفوائد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2 1393هـ -1973م).

23-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 - 1420هـ -1999م).

24-د. كندو، محمد بن إسحاق، التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه، (دار المنهاج، الرياض, 1426، ط1).

25-النَّسَفِيّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 710هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت، دار الكلم الطيب، ط1 -1419هـ -1998م).

26-ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: 711): لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط1).

27-مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).